سي) نحو ١٠ ومن رتبة (استانبولي بالياسي) نحو ٢٧ وعدد المشايخ من اصحاب رتبة الحرمين الشريفين نحو ١٦ . وقد وصف حضرة الاستاذ المشار اليه هذه المعايدة في العيد الذي مر بهذا العام وحدثت به الزلزلة التي ارتاع لها كل من حضر الا جلالته ولقد كنا نود اثبات وصفه لها وجلالته في تلك الساعة الهائلة لولا ضيق المقام عن ان يسعها ولكننا نذكر ما ذكره بعد الزلزلة التي حدثت اثناء المعايده قال . لما استراح امير المؤمنين بعد الزلزلة مدة ربع ساعة عاد الى قاعة العرش بين تهاليل الدعاء وانغام الموسيقى واقام واقفاً امام العرش فدخل اولا اخو شريف مكة المكرمة وعن شماله شيخ الاسلام ووقفا في وسط القاعة تحت الثريا تجاه امير المؤمنين وبسطا ايديهما وقرأ الفاتحة بصوت منخفض وقرأها جلالته وتبعهم في ذلك جميع المسلمين ثم صلوا وسلموا

ولما فرغوا من الدعاء تقدم اخو شريف مكة وشيخ الاسلام نحو العرش وارتمى الواحد منهم بعد الآخر على قدمي الخليفة يريدان تقبيلهما فامسك جلالته كلاً منهما بيده ورفعه تلطفاً فنهض ولثم يده ثم ذيله ورجع القهقرى مسلما سلام الخلافة ثلاث مرات وتبعه في ذلك سائر الصدور والمشايخ والموظفين وانتهت تلك الحفلة العظيمة في ذلك القصر النادر بين الدعاء لجلالته بالسلامة من ذلك الزلزال والابتهال لله تعالى بطول بقائه موصولا بالعز والاقبال

التربية البيتية

نشرت مجلاتنا العلمية والتهذيبية مقالات ليست بقليلة في موضوع التربية وخصوصاً التربية البيتية لاهمية امرها وعلو منزلتها ولما يترتب عليها من انتشار الفضائل الصحيحة وانهاض الهمم المتوانية ونجاح الاعمال وحسن المستقبل . نعم انها اثرت تأثيراً مهما في قلوب قرائها ونبهتهم الى امر خفيت عن افكارهم اهميته وغاب عن بصيرتهم خطره ولكنها لم تفد الفائدة المطلوبة فكأنها عرفتهم الحقيقة ولكنها لم تدلهم على السبيل المستقيم للوصول اليها . او لو اشارت بعضها الى مثل ذلك فانما كان على حسب ما بدا لاولئك الكتاب وكلهم تقريباً من الرجال فكان ذلك ضرب من التخمين لان كل واحد ذهب مذهباً مخالفاً لمذاهب الاخرين . ولم تقم الان على ما اعلم سيدة من سيدات بلادنا المتنورات بانوار العلم والادب ربت اولادها التربية الصحيحة فكتبت مقالة عن كيفية تلك التربية في احدى المجلات الجوالة لتكون موضوعاً للانتقاد ولتعرف التربية الصحيحة فيسير عليها الشرقيون ويربحوا من وراء ذلك ربحاً غير ممنون . هذا وقد عثرت في مطالعاتي الفرنسوية على مقالة في التربية البيتية او تربية الاولاد مدبجة ببراع الكاتبة الفرنسوية الشهيرة المركيزة دي لامبار بعثتها لرئيسة دير مادلين التي طلبت منها مثل هذه النصائح . على ان هذه الكاتبة قد خصصت وجودها وكرست حياتها لتربية اولادها وكتبت عن تلك التربية مقالات لطيفة تشبه ببلاغتها مقالات فنيلون . وقد اشتهر بهوها (قاعتها) بين رجال العلم والادب فكانوا يقصدونه

من كل فج سحيق وكان اللعب محظوراً فيه ولم يكن مباحاً الا المحادثة فكأن هذا البهو او تلك القاعة هي القاعة ذاتها التي وصفها جول سيمون على ما جاء في مجلة الجامعة الغراء (عدد ١٩) . ومن ذلك تعلم ايها القارئ اللبيب اهمية ما كتبته . واليك الكتاب الذي بعثته لرئيسة دير « لامدلين دي ترزنل » (١)

لقد سألتني ايتها السيدة بان اعطيك نصائح لتربية حفيدتنا (٢) ولكن كم كان الاولى بي ان استمدها منك واعمل بموجبها فانك قد فقت الرجال بذهنك الثاقب وفكرك البصير وتقالك الحار . ولكن جرى على السنة العامة ان الجدة لها الحق في النصح للفتيات فانها تكون قد شربت من الدنيا خلها وخمرها وذاقت حلوها ومرها واذا القت بعضاً من النصائح فانما تلقيه عن علم ومعرفة وخبرة تركت لها منها السنون شيئاً وافراً

واظن ان الاسرات لاتفتكر بتربية الولد الحدث . وهذا خطأ مبين اذ لكل سن انتباه خصوصي واعتناء يختلف عما سواه . فانما في هذه السنين الاولى تنطبع في الدماغ الآثار التي لايمحوها الا الموت وترتسم الافكار الحسنة او الشريرة في المخيلة . فمن المهم جداً اذن ان لانفسد هذا الترتيب الطبيعي وان نعطي الحسنات الاولى المحل الذي تستحقه . فمالما يبتدي الولد بالشعور يجب علينا ان نلقنه فكراً واضحاً عن الله والديانة وان نكلمه عنهما بطريقة مؤثرة . ولايمكنك ان تتسلطي على الفكر الا باستمالتك القلب الذي لايمكنه ان يشعر بسعادة عظمى اذا لم يكن موضوع شعائره في كرور الحياة وادوارها

(١) ان هذا الدير قد اشتهر في القرن الثامن عشر بحسن التربية والتهذيب وقد تربت فيه الكاتبة الفرنساوية مدام دفان (٢) التي صارت مدام بريفون

الله . ومن اهم شروط التربية المفيدة ان يجعل الشخص المكلف تأديتها نفسه محترمة مكرمة وان يجعل لذكره خشية في نفس المهذب ويجب عليه ان لايمزح كثيراً مع الاولاد وان يعيش معهم برزانة وان يقسو عليهم قليلا وان يحترس من اهواء الطفولية التي لايعرف الاولاد كيف يستخدمونها ليحصلوا على ما يبتغون . وهذه الاهواء الاولية تخبئ ذنوباً كثيرة فيجب عليه ان لاتذهب عنه حيل كهذه

على ان العدو الازرق الذي علينا ان نهاجمه ونحمي ذواتنا منه هو محبة الذات فقد اعتدنا الا نجتهد باضعافه واخماد نيرانه فيجب ان نحترس من ان نقوي جراثيمه ونسقيه بمجاري المديح والثناء والتمليق والملاطفة حتى لاتكبر مع الايام فيعسر قلعها واستئصالها فتلتف حينئذ حول ورود التربية الحسنة وازهارها الجميلة فتخنقها وتذهب باتعاب الزراع سدى . فان المديح والثناء لمن اعظم الاخطار التي تتهدد التربية بالاضمحلال وتتوعدها بالفساد العاجل . لانه مما يوسع افكارهم بشأن انفسهم ويسلحهم باشواك التعجرف والكبرياء ويجعلهم يعدون ذواتهم اكبر من رفاقهم قدراً واعظم منهم رتبة ومقاماً . فيمسون متغطرسين يستصعبون العيش ويجدونه امر من العلقم واقل شيء يجرح احساساتهم . وذلك ما يربي طبعاً رديئاً جداً . ويجب عليكم ايها المهذبون ان لاتجعلوهم يشعرون بمقدار محبتكم لهم واعتنائكم بهم . لان ذلك يجعلهم يعتقدون انه من اللازم الواجب ان يكون البعض تحت ارادتهم يومؤون اليهم فيجيبون ويأمرونهم فيأتمرون : وبذلك تقوون محبة ذاتهم واذا تركتموهم يسيرون على هذا السبيل فمهما اجتهدتم بعد ذلك بهدم ذاك الطبع الشرير ونزعه فلا تنجحون . على انه يمكنكم ان تشجعوا الاولاد الجبناء

بالمديح ولكن الولد الصغير يعتقد بكل ما تقولونه له فيجب ان تخضعوه قليلا لارادتكم . ولا تظني اني اشاء ان ابطل المديح فان ذلك عون على التربية والفضيلة ولكن يجب علينا ان نعرف اين نضعه ويجب ان لا نمدحهم على كياستهم الخارجية فيظنون ان ذلك يقوم مقام كل شيء ولكن ان نثني عليهم لاعمالهم الحسنة

ويجب على المهذبين ان يجعلوا فيهم ميلاً الى الحقيقة ويعلموهم ان يتبعوها ويمارسوها ولو اضرت بهم . ويجب ان يبثوا في عقولهم ان لاشيء اعظم من القول «اخطأت» وان يحترسوا من قصاصهم على الهفوات التي اقروا بها . ويجب ان نبث في عقول الاولاد معنى الشرف وان نصور لهم الفرد الذي ليس له شرف كاعظم من يجب ان يخشى ويتجنب . وقد جرت العادة (ولاسيما في بلادنا السورية والمصرية) ان يقص على الاولاد لتسليتهم قصص باطلة تنبه فيهم عواطف الخوف والجبن فيجب ان لانذخر خوفهم لقصص مختلقة لا اصل لها ولا فصل بل ان نصرفه لاتقاء من لاشرف لهم ولاحسن سجايا وان نجعلهم يحسبون الاعتبار والاكرام كاول الفضائل والاحتقار والازدراء كاعظم الشرور . واذا قدرتم على ان تجعلوهم يشعرون بخطارة ذنوبهم والخجل المستوجب لها فتكونوا بذلك قد خطوتم خطوة مهمة في مضمار التربية والتهذيب فان الخجل يكون لهم بمثابة القصاص

ومن المهم جداً ان تقنعهم بان الشرف لايقوم الا بالاعمال الحسنة وممارسة الفضائل . ويمكن المهذبين ان يعطوا الاولاد ما يشاؤون ولكن ليس بطريقة المكافأة بل كتابع ضروري للاعمال الحسنة التي عملوها . وبذلك يعتقدون تدريجاً ان مايرغبون به لايعطى الا مع الاعمال الكريمة ولايختص

الا بها . واذا كانت الهدايا التي تهبونهم اياها مما يؤكل فانكم بذلك تزيدون ذوقهم للمسرات ونهمهم وشرههم واذا كانت للزينة فانكم تقوون ميلهم للبهرجة والزينة والازياء والملبوسات الى غير ذلك من الاشياء التي يجب عليكم ان تعلموهم احتقارها وحسبها من حطام الدنيا

ومن طبع الاولاد انهم يحبون ان يعاملوا كاشخاص عاقلين فيجب ان يتقى منهم هذا النوع من الكبرياء وان يستخدم كواسطة لقيادتهم حيث يشاء المهذب . ويجب الاعتناء بهم وجعلهم يعتقدون عند اهمال الواجب بانهم نسوه من ان يعتقدوا انهم قصروا في القيام به .

ومن الضروري ان تقطع ارادة الولد وان يجعل لين الخلق سهل العريكة وان يخضع لسلطان العقل ويعلم الا يستسلم الى رغائبه ومشتهياته . على ان احد اسلحة الولد التي تعقد جهاده بلواء النصر غالباً دموع العناد . فانه اذ يرى نفسه غير قادر على عمل مايبتغي يجتهد بان يحصل بدموعه على الحق الذي يخوله بان يعمل ما يريد . فيجب على المهذب ان يحترس من ان يسمح له باجراء مشتهاه عند اشتداد العناد . ويجب عليه ان يميز حاجاته الضرورية من الكمالية ولا يسمح له ان يسأل الا حاجاته الحقيقية . على ان ما يقوي مشتهياتنا هو الحرية التي تعطى لنا لاظهارها . وكل من يسمح لنفسه ان يطلب ما يشتهي فلا يبعد ان يعتقد بان ذويه يوافقونه على ما يشتهي

وعند ما يعتاد الولد ان لا يخضع ارادته الى فكر سواه في سن العسوة فيصعب عليه جداً ان يصغي لنصائح عقله وان يسير بموجبها في مستقبل العمر ويجب على المهذب ان يبث روح الشجاعة في العقل : فان الثبات وقوة النفس احسن درع تتقى به الشرور . فتانك الصفتان ملجأ الفضيلة وملاذها

وسور منيع ضد جيوش الرذائل والمنكرات ولا شيء يطيل المصائب ويؤيدها كلين النفس ولا يمكن المرء ان يبقى عاكفاً على واجباته قائماً على اتمام اعماله الا بالشجاعة الادبية روح الامل وام النجاح

ومن الضرورة ان يجعل الولد يشعر بالصداقة ومعرفة الجميل . ولا سبيل لذلك بغير القلب فمتى امتلكت القلب امتلكت العقل : فليس لنا فضائل حقيقية دائمة الا بالقلب مجمع العواطف ومركز الاحساسات . ويحسن ان تعودوا الولد ان يكون له الفكر المعتدل والقلب المستقيم وان تبثوا به فضيلة الكرم والسخاء وتعلموه ان يقاسم رفاقه ما معه . ويجب ان تقنعوه بان من يهب يكون صاحب القسمة الراجحة وان له من ذلك المجد والصداقة والمسرة(١)

وقد يتسلى الاولاد في بعض الاحيان بان يجروا شيئاً من الحيل والتقليد بفرح فيسر ذووهم بذلك . وهذا استعداد ذو خطر فان الاولاد لا يفتشون اصلا على ان يتقلدوا بما هو حسن بل بما يجلب الاستهزاء . فلا تجعلوهم يعتقدون بان الابتهاج والسرور يكونان في الاستهزاء . ولكن لا عتب على الاولاد في ذلك بل على اولئك الذين يصغون لهم ويتعجبون لحديثهم . فان العقل البصير يعجب من الشيء الحسن ويكره الاحتيال الذي يأتيه الاولاد

وفضلا عن هذه القواعد العمومية لكل الاولاد فانه يوجد قواعد خصوصية لكل طبع ويكفي لكشف تلك الطباع بذل قليل من الهمة فالولد الصغير مثلا لين الجانب مملق : وهذا طبع مفيد لاولئك الذين يعيشون به ولكنه ذو خطر للاخرين فانه يغش من لا خبرة لهم ومن ليس كذلك

(١) ان هذه النصيحة اصبحت اليوم في حكم العدم تقريباً لضرورة تعليم الولد شدة التوفير

الان ؟ فان المهذبين لا يلتفتون الا الى الطباع الخارجية التي طالما كتمت نقائص كثيرة . على ان الاشخاص الذين يشعرون بانهم ينجحون بهذا لا يأتون الهيئة الاجتماعية الا الفساد ويتركون خلفهم فضائل الاجتماع الانساني والشعائر الشريفة . واولئك الذين لا يسيرون على هذا المنوال فلا يقولون الا الحقيقة يصيرون رجالا اقوياء ثابتي المبادي لا تزعزعهم عواطف الاهواء ولا يلويهم عن عزمهم تقلب الايام

واخشى من ان يكون للابنة الصغيرة استعداد للنزق والخفة والطيش فان هذه عدوة الاحتشام وما نفع امرأة دون احتشام ؟ والخجل والاحتشام اخوان او فرسا رهان . ويتشابهان غالباً فتظن الصفة الواحدة انها الاخرى وهذه النقائص الصغيرة التي لا تظهر شيئاً لاولئك الذين يحبونها هي مع ذلك بذور العيب وجراثيم الشقاء . ولا يخفاك ايتها السيدة خبر ذلك الفيلسوف الذي وجد ولداً فآخذه على بعض عيوب فقال له الولد انك تؤاخذني على شيء صغير — فاجابه الفيلسوف لا نقيصة يمكن ان تكون صغيرة

انني لم احط بجميع اطراف الموضوع ياسيدتي ولكني اردت ان اترك لك لذة الافتكار به وبسطه وشرحه والحق بان تردي علي اذا وجدت في كتابي هذا ما يستحق الجدال

سار وفيم جرجي
كساب

دمشق